كل من عليها فان

كان هذا الشهر مَشكلةً للعلوم والآداب ومناحةً للادبآء والكتّاب نُعِي في صدرهِ احد فتيان الوطن الالبّآء وغصنٌ من اغصان دوحة الكتابة والانشآء المرحوم سبع شميّل الذي ذكرنا منعاهُ في الجزء السابق وفاجأنا في منتصفهِ نعي شيخ الصحافة وكبيرها بل مقدَّمها وامرِها المرحوم بشارة باشا تقلا صاحب جريدة الاهرام واشهر من تولى جريدةً في قطري مصر والشام اخترمتهُ المنية في الخامس عشر من الشهر على عقب داءٍ عيآء حارت في تشخيصهِ بصائر الاطبآء فكان لهُ يومٌ على القلوب

شديد تناقلت انبآءهُ اسلاك البرق ورُسُل البريد واندفعت الاقلام تقضيهِ حق التأبين والرثآء وتشيّعهُ بذكر مالهُ من الآثار الجميلة والمآثر البيضآء وفي مسآء ذلك اليوم احتُفل بدفنهِ في مشهدٍ قد حفّت بهِ مظاهر المهابة والاعظام ومشت فيهِ الالوف من ارباب المقامات وذوي الاقلام حتى اودعوهُ التراب مذكوراً بما لهُ من الفضائل والاحسان وعادوا عن قبرهِ وهم يستمطرون عليهِ سحائب الرحمة والرضوان

وكان الفقيد رحمهُ الله رجلا كبير الهمة مقداماً جسوراً وُلد في قرية كفرشيما من سفح جبل لبنان سنة ١٨٥٢ وتلقى دروسهُ في المدرسة الوطنية في بيروت وفي سنة ١٨٧٥ قدم الديار المصرية فانشأ بها جريدتهُ الاهرام بمعاونة اخيهِ المرحوم سليم بك وهي اول جريدة عربية انشئت في القطر بعد الجريدة الرسمية فسلك بها مسلك الجدّ والثبات ولم يألُها سعياً واجتهاداً حتى بلغت اعظم مبلغ من الشهرة في القطر المصري وخارجهِ ولم تبرح مستقيً لصحيح الاخبار معروفةً بالصدق في خدمة المصلحة العامّة كما يعلم ذلك كل من تتبع اعدادها . وكانت الاهرام تصدر اولا في الاسكندرية واستمرّت على ذلك الى سنة ١٨٩٨ فنقلها الى القاهرة واستخلف مكانها جريدة اخرى سماها صدى الاهرام ثم انشأ في القاهرة جريدة الاهرام الفرنسوية فكان يتولى سياسة الجرائد الثلاث معاً وهو مما يشهد برحب ذرعه وقوّة جلدهِ ومقدرتهِ على الاعمال . ثم رأى من صدى الاهرام ضعفاً وتأخراً لانها لم تثبت مع الاهرام فالغاها من عهدٍ قريب ولبثت الاهرام العربية وصنوتها الفرنسوية تصدران في القاهرة الى يوم وفاتهِ . وكان خلا

ما يلقي الى الجريدتين من الاغراض السياسية وغيرها كثيراً ما يكتب فيهما بقلمهِ المقالات البليغة الناطقة بسعة اطلاعهِ واحاطته بمعرفة سياسات الدول وتواريخ الممالك وما بينها من الصلات والمعاهدات وهو مما يدل على شدة اهتمامهِ بالخطة التي اتخذها شغلاً لحياتهِ فدرسها حق درسها واستقرى جميع دقائقها واطرافها

وقد نالت جرائدهُ الثلاث ولا سيما الاهرام العربية منها اعلى مكانٍ من الاهمية في المقامات الرسمية وحاز لاجلها المكافآت الجمّه من اكثر الدول وكان لها من الفائدة بين قرآء العربية وعلى الخصوص في القطر المصري ما لا يسع احداً انكارهُ فانها بُدئت وليس في القطر المصري من يقرأ جريدة ولا يعلم شيئاً من امور السياسة والحقوق ولا يهتمّ لسماع حادثٍ من الحوادث الخارجية ولا الداخلية فما لبثت بضع سنين حتى انتشرت الرغبة في المطالعة بين خاصة الناس وعامتهم وازداد عدد القرآء سنةً بعد سنة حتى صاروا يُعَدّون بالآلاف وتتابعت بعد ذلك الجرائد في القطر فلم تعدم واحدةٌ منهنّ عددًا كبيراً من القرّآء فكانت منزلة الاهرام ولا جرم منزلة استاذٍ لاهل القطر وممهدٍ لسائر الجرائد وموطّئٌ لانتشار العلم والاقبال عليهِ وهو فضلٌ لو لم يكن لصاحب الاهرام سواهُ لكفى . وليس هنا محل ترجمة حياتهِ بالتفصيل وانما ذكرنا ما ذكرنا بياناً لمزية الرجل والماعاً الى ما استحق بهِ المنزلة التي بلغها من الجاه العريض والدنيا الواسعة مما لم يبلغهُ كاتبٌ قبلهُ في الشرق تغمدهُ الله برحمتهِ واجمل جزآءهُ في دار النعيم